Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إلى اللّغة بوصفها بناءً ونظاماً ، واستقصى موسيقى الشعر الجاهلي ، فوضعَ أوزانَه ـ بقواعدها وجوازاتها ، في إطارِ غايته التّوكيدُ على أن للعرب ، هم أيضاً ، موسيقاهم الخاصّة التي تحمل صفاتٍ عربيّة خالصة ، في ما يتعلّق بالإنشاد والغناء على الأخصّ .

وكان في هذا كلّه عالماً يصف ويُنظِّر لما يصفه . ويمكن القول إنّ عمله هذا كان تأريخياً لحفظ اللغة ، ولحفظ أوزان الشعر ، شأن الأعمال الأخرى التي قام بها غيره لحفظ القرآن ، والحديث النبوي ومآثر العرب المختلفة .

غير أنّ اللاّحقين قرأوا ما فعله الخليل قراءة قوميّة ـ إيديولوجية ، فرفعوا عمل الخليل الوصفي ، إلى مرتبة القاعدة المعيارية وذلك بتأثير الصّراع السياسي ـ الثقافي ـ القومي بين العرب وغيرهم . وهكذا حصر القول الشعري في قواعد نظمية معيّنة ، بدلاً من أن يظلّ حرّاً ، يتحرّك مرتبطاً بالفاعليّة الإبداعيّة .

ونحن اليوم ، إذ نقرأ ماضينا الشعريّ ، فليس لكي نرى ما رآه الخليل واللاحقون ، وحسب ، وإنّما لكي نرى ما غاب عنهم وما لم يروه . نحن ، اليوم ، نقرأ الفراغ أو النقص الذي تركوه . خصوصاً أنّ التّقنين والتّقعيد يتناقضان مع طبيعة اللّغة الشعرية . فهذه اللّغة بما هي الإنسان في تفجّره واندفاعه واختلافه ، تظلّ في توهّج وتجدّد ، وتغايُر ، وتظلّ في حركيّة وتفجّر ؛ إنها دائماً شكلٌ من أشكال اختراق التّقنين والتّقعيد . إنّها البحث عن الذّات ، والعودة إليها ، لكن عبر هجرة دائمةٍ